كيف دفن «التهريب» تأريخ المخا؟.. وكيف تحول مأوى الفقراء إلى معبر للثراء فقط

نفوذ سلبي في نافذة اليمن إلى

المخا وباب المندب مديريتان ساحليتان تقع إلى الغرب من مدينة تعز على بعد مائة كيلومتر منها وتعد أقرب نقطة ساحلية للمدينة؛ بساحل ممتد على البحر الأحمر يبدأ من الزهاري وحتى مضيق باب المندب وطول يقدر بمائة كيلو متر تقريبا، تطل من خلاله تعز بحياء على العالم الخارجي بأطلال مدينة مطمورة وبقايا ميناء كان له تأريخ عريق في رفد الاقتصاد العالمي بما يحتاجه من مواد ويتحكم بطرق الملاحة القديمة ويحسدنا عليه العالم, كما تتوزعهما قرابة 200 قرية، وقوام السكان مائة ألف نسمة معظمهم يعانون الفقر المدقع.

أحمد الجبري - محمد الحذيفي:

بادية النسيان

بادية المخا والمخا كله بادية, في قراها قصص تفوق الخيال.. أناس توقف عندهم الوقت وتجمد التاريخ في مجاهليها منذ زمن غابر. فأضحت أشبه بمتحف ضم في أرجائه الفسيحة كل تفاصيل الإنسان الأول, إلا أن مكوناته هم أناس حقيقيون وليسوا افتراضيين. بيوت أغلبها من قش لا تمنع شمسا ولا تحمي من مطر ولا تحول دون برد, ولباسهم بالكاد يستر وفرشهم الأرض ولحافهم السماء. لا شيء هناك يدل على الرفاهية ولا وجود لهذه المفردة في قاموسهم . فالبيوت والمطابخ وأسرّة النوم مسميات لا علاقة لها بالأسماء، ومقتنيات البيت متناهية البساطة، فيما الماء يجلب من أماكن بعيدة وبشق الأنفس. ولا مخزون استراتيجي في البيوت سوى القناعة والثقة بالله الخالق، والنسيان مطبق بجناحيه على الجميع إلا القليل.

فقر في عهد التحضر وفقر في زمن التطور، وبدائية في كل شيء والمدنية والتحضر لا علاقة لهما في تلك المناطق إلا من عربات وسيارات التهريب التي لا تترك لهم سوى الغبار المتصاعد خلف دواليبها المسرعة, هناك النسيان وشظف العيش. والمعاناة سيد الموقف. بساطة إلى حد العوز وفاقة إلى حد الهلاك، باختصارهناك الثالوث الرهيب الفقر والجوع والمرض.

هذه الطريقة القاسية في المعيشة طوعت الساكنين على القبول بالأمر الواقع وقتلت روح الطموح فلا أحد هناك يحلم بأكثر من كسرة خبز يابسة تمده بالبقاء أوقطعة قماش تستر عورته أما الطب فلا حديث عنه وهو سيد الغائبين فما كسر لا يجد ما يجبره والمأساة قد تحل في بيت واحد, كل الأمراض حاضرة في المنطقة بكثافة كحضور كثبان رمالها. أبرزها السرطان, الفشل الكلوي, الحالات النفسية, والإعاقات بأنواعها.

عمليات التهريب العدو الحاضر لكل اليمنيين

كان المسؤول الأول في البلد يحرص أن يكون على رأس قيادة الألوية المكلفة بحماية المنطقة ممن يدينون بالولاء التام لشخصه كما يشترط أن يكونوا على اطلاع بشبكة المنافع هناك والتي ترتبط هي الأخرى به مباشرة ليسهل تمرير ما يراد تمريره بعيدا عن أعين وإدراك الشرفاء من ضباط وجنود اللواء.

ولقد وصلت الجرأة ببعض أفراد تلك الشبكة إلى تهريب نفايات نووية ودفنها في سواحل اليمن مقابل حفنة من المال المدنس كما أثير في أواخر تسعينيات القرن الماضي ولهذا تدرك جيدا عندما تشاهد الحالة المأساوية لمديريات وأبناء الساحل كم كان النظام سيئا عندما أراد أن تبقى هذه المناطق رخوة أمنيا وبعيدة عن التطور والازدهار والنشاط التجاري الرسمي لتكون معبرا للثراء السريع غير المشروع الذي دُفعت منه تكاليف بقاء عرشه وبقي من أهم مصادر مده بالحياة حتى سقط وبعيون غير مدركة يظن المشاهد لأول وهلة أن سواحلنا محمية والحقيقة غير ذلك, صحيح أن المعسكرات متواجدة في المنطقة وأنها عيون ساهرة إلا عن المهربين الذين يغرونهم بثمن بخس مقابل الكثير من الصفقات المشبوهة التي تمثل خطرا حقيقا على الوطن والمواطن, وفوق أوجاع البائسين ومعاناة المحرومين تمر قوافل العابرين إلى الثراء الفاحش غير المشروع, والوطن يدفع من اقتصاده وصحة أبنائه وأرواحهم نزيفا لا يندمل وخللا لا يعتدل، وكأن الواقع يقول بلسان الحال: لم يستيقظ رجال الوطن بعد - حتى الآن على الأقل - ليسووا وضعه ويعيدوا الأمور إلى نصابها.

كل محذور وغير محذور مسموح له بالمرور ويجد من التسهيلات ما لا يحصل عليه من يخضع للنظام والقانون في البلد, الخمور والمخدرات والحشيش والسلاح والأدوية والمبيدات الكيماوية الفتاكة بحياة الإنسان والسجائر وقطع الغيار والدراجات النارية وحتى البشر يحدثك أبناء تلك المناطق بحسرة لا نظير لها وبحزن غير مسبوق.

ويقول «أ . ض . م» - وهو أحد سكان المنطقة الذين قابلناهم وطلبوا عدم ذكر اسمائهم -: هناك عصابات تهريب منظمة ومحمية من كبار القادة العسكريين وتتنوع بتنوع المهام التي تقوم بها تلك العصابات, فتهريب الأفارقة إلى دول الجوار يتم عبر إيصالهم إلى أحواش مقابل حوالات مالية يقبضونها لتوصيلهم إلى الحدود بسيارات تهريب ومن لا يستطيع الدفع يتم الدفع بهم إلى الصحراء للسير على الأقدام.

> **وصلت الجرأة ببعض أفراد تلك الشبكة إلى تهريب نفايات نووية ودفنها في سواحل اليمن مقابل حفنة من المال المدنس**

ويضيف: عصابة تهريب البشر تقوم بالتعامل مع من تهربهم بطريقة تتنافى مع أبسط القيم كما تنفذ ضدهم ممارسات تعكس أبشع صور المعاملة من إهانات وضرب وتعذيب واغتصاب إذا ما حاول أحدهم التهرب من دفع ما عليه أو ماطل أهلهم في تحويل تلك المبالغ.

ويواصل قوله: في البحر والبر طرق سالكة للتهريب وما صعب تمريره من الطريق الرئيس فالممرات الفرعية كفيلة بتأمين نقله إلى مخازن البيع.

طرق وعمليات التهريب

وعن طرق وكيفية التهريب يقول « أ . ض .م »: هناك قوارب مملوكة لمقاولين من المنطقة يتم الاتفاق بين تجار كبار داخل البلد وأصحاب هذه القوارب على توصيلها إلى البر ليقوموا هم بتوصيلها وتهريبها بطريقتهم وتمر هذه العملية بالعديد من الخطوات:

يتم إرسال البضائع من بلد المنشأ «ترانزيت» عبر ميناء جبوتي أو عبر سفن تهريب ثم تقوم بنقلها قوارب كبيرة خشبية أو»فيبر جلاس» إلى قرب سواحل مديرية باب المندب وتصل حمولة القارب الواحد من 50 طنا إلى 300 طن ليتم بعد ذلك تفريغ الشحنة في عرض البحر إلى قوارب صغيرة ومنها إلى مواقع الإنزال في الساحل وأشهر هذه المواقع موقعان «واحجة» و»الجديد».

ويضيف عليه شاهد آخر «أ . د . ن »: تؤخذ البضائع إلى أحواش كبيرة وبعد ذلك يتم ترحيلها إلى حيث يريد صاحب البضاعة تعز أو الحديدة أو صنعاء أو صعدة, وعادة ما تتم هذه العمليات ليلا.. ويواصل: تمر هذه البضائع عبر نقاط التفتيش وهناك تفاهم قائم بين هذه النقاط والمهربين تحدده مبالغ تدفع عن كل شاحنة, ويؤكد «أ . ض . م» دفع المهربين مبالغ مالية لهذه الجهات والنصيب الأكبر من هذه المبالغ تذهب لقادة الألوية العسكرية.

وقال (د . م . ق): تم ضبط دينتين لممنوعات أواخر شهر ديسمبر بعد مداهمات لموقع الإنزال بواحجة واعتقل مالك السنبوق وهللنا بهذا العمل لكننا فوجئنا بإطلاقه مع البضاعة من قبل قائد اللواء 35 علوي الميدمة مقابل ستةملايين ريال. واستطرد قائلا: عائدات الميناء ما يقارب 60 مليون ريال شهريا كانت تؤخذ كمخصصات لقائد اللواء 33 وبعده نقلت إلى قائد اللواء 35 علوي الميدمة.. ويضيف: أما الديزل فيتم تهريبه إلى خارج البلد عبر قادة المعسكرات.